

البحث عن أسس طرح مغاير لتوظيف الموروث الثقافي تجربة فاطمة قالير المسرحية نموذجاً

Searching for foundations for a different proposal, employing the cultural heritage of Fatima gallaire theater experience as a model

قطر الندى بومعيزة^{1*}، أحسن تليلاي²

¹ جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر K.boumaiza@univ-skikda.dz

مخبر التراث الأدبي الجزائري الرسمي والهامشي

² جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة، الجزائر ahcene_tli@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/05/17 تاريخ القبول: 2021/10/02 تاريخ النشر: 2021/12/16

ملخص: تطرقنا في ورقتنا البحثية إلى فتح منصة الحديث؛ حول أسس توظيف الموروث الثقافي في المسرح تجربة الدراماتورج فاطمة قالير نموذجاً، وحاولنا تقديم طرح مغاير، من خلال معالجة إشكالية اشتباك التراث الثقافي في المنجز الإبداعي المسرحي، ووقفنا على هرم الدراسات، كقضايا التأسيس، والتأصيل والتجريب، وتوظيف التراث والاشكالات، التي واجهت كل من هذه التوجهات جعلتنا نقف على هرم هذه الأبحاث، للتقعيد لأسس ل طرح جديد تجمع زبد هذه النتائج، وتنطلق وفق أرضية واضحة، خصبة، تتمثل في الموروث ثقافي.

كلمات مفتاحية: الموروث الثقافي، المسرح، قالير، المنجز.

Abstract: In our research paper we dealt with opening the talking platform. On the of the cultural heritage in contemporary theater, by addressing the problem of cultural heritage clashing of studies and previous critical research, such as issues of founding, rooting and experimentation, and heritage and problem, which faced each of these trends It made procced on a clear, fertile ground, represented in a cultural heritage

Key words: cultural heritage, theater, gallaire, achieved.

1. مقدمة:

المسرح هذا العالم السحري الأنيق، الذي يربو على نواصي أصناء الفنون ليكون أبا لها، من أقدم الفنون التي عرفتتها الحضارة الإنسانية التي تشرئب من آفاق إبداعية، وتاريخية عريقة لتنعكس في صورة فنية يجسدها الفن المسرحي، وهو من أكثر الأنواع الأدائية القادرة على التجسيد والتأثير وترسيخ الأفكار والتغيير الفعلي والروحي، والتي لها القدرة على التغيير وحمل الثقل، داخل المجتمع وخارجه، من خلال ثنائيتي، النسق اللساني(النص) التي تتميز من عضده بلغته الراقية، وشخصياته الصلبة وحيزه العميق وزمانه اللولبي، التي تتمخض مع بعضها، هذا النسق الذي حبرته عبقرية الأديب، ونسقه البصري(العرض) الذي يصور أبعديات الحياة، في أبعادها الدقيقة، وفلسفاتها العميقة، يترجم صراعه المعقد، ويحمل طوامير بداياته، هذه البدايات التي تلقت، مع سنفونيات الحضارة والفكر، والتاريخ والعادات والتقاليد، والديانات، لكي تشكل موروثاً ثقافياً، مستميز بذاته بخصيصة؛ أنه المخزون الثري الذي يشكل هوية، وشخصية الأمة التي بلورتها إنجازات الإنسان، في سلم صعوده لصناعة الذات .

ومن هنا ينطلق بحثنا وفق إشكالية عن كيفية البحث عن أسس لطرح مغاير لتوظيف الموروث الثقافي في المنجز الإبداعي المسرحي؟ وكيف كان إشتباك الموروث الثقافي في مسرح فاطمة قالير؟

إن نقل المسرح إلى ثقافتنا، يستوجب منا خلق أرضية خصبة، ولقد ارتكزنا في بحثنا على جملة من الدراسات التي كانت مرجعاً صلباً لنا، أولها المدونة وهي فاطمة قالير5 مسرحيات والتي ترجمها الدكتورة جميلة مصطفى الزقاي، وتوظيف التراث في المسرح الجزائري رسالة دكتوراه لأحسن ثليلاني ونظرية العرض المسرحي لجوليان هلتون ترجمة

نهاده صليحة وغيرهم الكثير، وأما بالنسبة للمنهج الذي اتبعته فكان المنهج التكاملي، وقد اخترته لموائمة مع الأدب المسرحي كونه يتطلب التحليل المتشعب؛ مع ما يتوافق وطرحنا البحث عن شفرات أسس طرح جديد وكونه منهج يستميز بتقنيات الوصف والرصد والتصنيف، ما ساعدنا في دراسة المقتطفات من النماذج المختارة.

حديثنا عن المسرح في تشابكه مع الموروث الثقافي، يشكل قالبا جيدا لما يستميز به الفن المسرحي؛ فهو شكل من أشكال التعبير والفن، وهو جنس أدبي مستميز بخاصية قابلية التحويل والتجسيد على خشبة المسرح، من خلال ممثلين يتقمصون شخصيات النص المسرحي ويؤدون أدوارها، كما وهو "... مزيجا من كلمات يحتوي في جوهره على تناقضات المسرح جميعها..."¹ وهذه الميزة التي تميز هذا الفن عن باقي أصناء الفنون، والتي تجمع في ثناياها العريضة، بين المتناقضات والمتفاوتات ما يجعل قوامه الصراع و"... لأن المسرح فن الناس والساحات فإن ذلك قد جعله أكثر الأشكال حملا للتراث وتوسما بتوظيفه من أجل تحقيق عديد الأهداف التي يطمح إليها الأديب المسرحي..."²

كما يعد المسرح بأنه الشكل الأدبي المعد للتمثيل وهذا ما يجعله متفردا عن باقي الأصناء الأدبية، ومنه كان المسرح فن الناس والساحات، يجمع في جعبته كل الفئات الاجتماعية و"... فن درامي يراهن على تحويل النص المسرحي إلى عرض يجسده الممثلون على الخشبة مستعينين في ذلك باستخدام مختلف الفنون التعبيرية، ولذلك نلاحظ أن المسرح عادة ما يوصف بكونه (أبو الفنون)..."³

وصفوة القول أن المسرح هو أكثر الأشكال التعبيرية الحاملة للتراث، فهو الفن الذي لا يقبل بين ثناياه العريضة أبجديات الزيف والخداع فقدرته على التصوير تتبع من ثراه

بالمصادقية وهذا ما جعله يرافق الانسان في كل خطوط حياته العريضة؛ كونه فن الحقيقة بامتياز .

2 أهمية ودور الفن المسرحي : للفن المسرحي قيمة عالية، وكلما تطور الانسان أصبح أكثر إدراكاً بقيمة هذا الفن، التي جعلته يربو على نواصي أصناء الفنون، هذا ما يجعله يصبح أباً لها فهو عصاراة الجمال في الإبداع، كونه فن الحقيقة الذي لا يقبل الزيف ومرآة المجتمع التي تصور الرديء لنفضه، وتوضح الجميل لتزكيته وإذا كان الفن يقوم على التجميل فالمسرح يقوم على الفن الصريح ولا يقبل أن يعتور بجذابات الزيف والتشويه الذي تعتريه الصرامة الواثقة التي تقض مضاجع الضعف في المتلقي للعمل المسرحي .

وتظهر لنا قيمة المسرح ودوره، في الجدل الذي ثار حوله، منذ بداياته من قبل رجال الدين والفلاسفة، حيث كان تخوفهم نابعا من إدراكهم لمقدرة هذا الفن الدخيل على التأثير والتغيير، وتخوفهم من ما قد يحمله هذا الفن فنجد "جوليان هلتون" يذكر تخوف رجال الدين والفلاسفة نابعا من قدرة هذا الفن على التأثير " وان قدرة المسرح في جوهره هي السبب الحقيقي وراء الجدل الديني والأخلاقي الذي أثير ومازال يثار حوله... وإذا أفصح هذا الجدل عن شيء فإنما يفصح عن اعتراف ضمني بطبيعة المسرح المؤثرة..."⁴

قدرة الفن المسرحي، على التأثير والتجسيد الفعلي، جعلته مستمير ومحط أنظار أصحاب العقول الراجحة خاصة الفلاسفة، هذا لما قد يحمله ويدخله في الثقافة المحلية، وهذه الخصيصة في التأثير والتغيير، مانحن بحاجة إليه لنقعد لثقافتنا ونرسخها بشكل واعي.

3 أهمية الفن المسرحي في حمل الهوية والموروث الثقافي:

كل الحضارات الانسانية التي تقدمت كانت الفنون، من أهم الأعمدة في نهضتها، وللمسرح قدرة على التأثير في المتلقي، سواء المتلقي للنسق اللساني (النص) أو للنسق البصري (العرض)، هذه القدرة في التأثير هي ما خلقت ذلك التخوف مع بداية الفن المسرحي من قبل الفلاسفة ورجال الدين فكل ما يحمله هذا الفن يؤثر في المتلقي "... وإن قدرة المسرح على التأثير في جمهوره هي السبب الحقيقي وراء الجدل الديني والأخلاقي الذي أثير ومازال يثار حوله والذي يرتبط دوما باسم أفلاطون وأغسطين وإذا أفصح هذا الجدل عن شيء فإنما يفصح عن اعتراف ضمني بطبيعة المسرح المؤثرة وعن خوف حقيقي من هذه القدرة على التأثير...."⁵ فكل ما يحمله المسرح يؤثر في المتلقي فماذا لو كان المحمول هو تراثنا العربي الزاخر؟ إننا بحاجة لهذا الفن للتأثير الايجابي، ولحمل تراثنا الثقيل من خلال غرس ثقافة واعية، وشخصية قوية تستميز انطلاقها من موروث ثقافي واضح وقابلة للتجاوز من الآخر وتقبله، فتلك الخصيصة لطبيعة المسرح المؤثرة والحاملة، ما تستلزم أن نفتك منها مسقطين عليها صراعاتنا ورسالاتنا من خلال منجزات ذات قيم واعية وواضحة، "...اجتمعت الآراء إذن على قوة وفاعلية المسرح كوسيلة تعليمية لكن يبقى السؤال: ماذا يعلمنا المسرح؟ وهو سؤال قد يولد إجابات متناقضة تماما كما ندرك إذا تأملنا الخطوط العريضة للجدل الذي دار حول المسرح باعتباره وسيطا للخير من جهة وللشر من جهة أخرى..."⁶

كما وجدنا في المنجزات المسرحية عند الغرب، الموجهة للكبار تلك الروعة في الطرح لأصعب القضايا الانسانية، والاجتماعية والجرأة الموضوعية، وقوة الصراع، التي تتلاقح بقوة مع الفن المسرحي على غرار باقي الفنون، وإن ما نعانيه في مجتمعاتنا العربية، هو تلك

الشخصية الغير مصارعة التي تتبعد عن الموضوعية والصراحة، وتلجأ للكبت العلني تحت غطاء الستر الراضة للصرع؛ ونحن للأسف نميل كثيرا للكبت وتتعدم فينا لغة الحوار التي تصبو للانفتاح، وكل هذا راجع لعدم استغلالنا للفن المسرحي، "...لم يكن يرى في الفن محاكاة للواقع فحسب بل كان يراه محاكاة لواقع يحاكي بدوره عالما مثاليا أي محاكاة لمحاكاة أخرى فأصبح في نظره مصدر شك مضاعف إذ يفسد الشباب بزيف العواطف التي يصورها والتي كان يراها أفلاطون مصطنعة مفتعلة وغير مرغوب فيها فالحزن والحب والكراهية والرغبة عواطف على الروائي الصالح أن يتجنبها في الحياة والواقع فما بالك إذا استعرضها وتباهى بها أمام الناس على خشبة المسرح...⁷؛ هذا ما يؤكد لنا ضرورة وضع الإبداعات في المنجزات المسرحية، بين أيادي أمينة تكون مطلعة على موروثنا الثقافي ومدركة لما يحمله من إيجابيات وسلبيات فليس الكتابة في المسرح عبارة عن قصة تحكي صراع لشخصية ما فقط، بل هو جملة من المحمولات التي تتلاقح مع قضايا الأمة

وصفوة القول أن الفن المسرحي له دور فعال في نهضة الأمم، ومتميز عن باقي الفنون له القدرة على التأثير والتغير كما أنه فن الحقيقة بامتياز وي طرح قضايا متشابكة في قالب فني وكل ما في الفن المسرحي نحن بأمس الحاجة إليه لنهضة عربية من ثقافة أصيلة ولجيل متشبع بالهوية والثقة من موروث ثقافي واضح .

4 ماهية الموروث الثقافي: لكل أمة تراثها الثقافي الذي تزخر به، وهذا التراث يجمع بين طيه كل المعالم التاريخية، والأثريات والقطع الفنية، كما يشتمل على مجمل العادات والتقاليد، "... فهو كل ثروة ثقافية منقولة...."⁸ وكل أشكال التعبير في حياتنا اليومية، والتي تتعكس في ممارساتنا الاجتماعية، وتظهر بقوة في المناسبات

كالأعراس، والمناسبات الدينية والوطنية، التي نحتفل بها بطريقتنا الخاصة والتي تميزنا عن باقي الشعوب.

كما أن معظم دراسات الأنثروبولوجيا، الحديثة والمعاصرة تؤكد على أن كل فئة من فئات المجتمع، تتميز بتركيبتها الخاصة، التي تميزها عن باقي الفئات الأخرى، والتي اختلفت في تركيبها من تراثها الثقافي الزاخر، وهو الذي يمثل الاطار العام لكل تلك الفئة بمختلف شرائحها، كما يعد التراث "... الناتج الثقافي والاجتماعي والمادي، ولا يعد بطبقة معينة فهو تراث العامة والخاصة، منه ما حظي بالتقدير والاحترام، ومنه ما لقي الازدراء والاحتقار وعد خارج التراث مما أدى إلى صراع بين التراث الرسمي والتراث الشعبي فارتبط التراث الرسمي بقوة السلطة مما زاد في ازدهاره واضمحلال التراث الشعبي...."⁹ كل المورثات على تنوع شعبها، تعكس حضارة مجتمعها، ومدى قوته وازدهاره، وإن ماتت هذه الأمة فحضارتها لا تموت، وهي تراث العامة والخاصة، من المجتمع فلا يخص طبقة عن أخرى، "...أما تراث أمتنا العربية، فيمتد إلى أزمان موعلة في القدم، فماضي الشعوب التي تعربت وأسلمت هو ماضي هذه الأمة وكل الحضارات الفكرية التي ارتبطت بها هي حضارة هذه الأمة، لذا لا يجوز أن نقف بالتراث عند حد زمني أو مكاني معين كما ورد مثلا في نصوص الأدب الجاهلي، بل يجب أن تمتد دراساتنا لتستوعب التراث القديم، ومن ثم الديانات السماوية والرسالات الروحية والاجتماعية والفكرية الكبرى، حيث ينحدر إلينا تراثنا الضخم، فهو جمع التراث الثقافي التاريخي والمادي والمعنوي منذ أقدم العصور، فتراثنا أغنى من أن يحد بمرحلة حضارية واحدة...."¹⁰

يعد التراث العربي من أغنى الموروثات الثقافية القديمة، فهو يزخر بالتاريخ والفنون والآداب والحضارات والديانات السماوية ما يجعل تراثنا بدون مجال للشك ضخما وغنيا بكل أبعاده

المتفرعة، تعد أهمية الموروث الثقافي، في كونه المشكل للهوية، والشخصية المجتمعية والتي من خلالها، نتحاور مع الآخر المختلف، وعلى أساس ثقافتنا يتحاور معنا الآخر فالموروث الثقافي يشبه الهدام الأنيق، الذي ترتديه لتشكّل هيتك الرسمية، وكينونتك؛ مثال هذا نجد العبادة الخليجية فهي تمثل الإنسان العربي بامتياز ورغم ما تكتسبه من رسمية، فهي تشكل ثقافة خاصة، فلا نجد صيني يرتدي العبادة الخليجية. "...وتكمن أهمية دراسة التراث لتأثيره الواسع في المجتمع والفكر الإنساني والديني والتاريخي، فأى تطور ثقافي لأي مجتمع يحتاج إلى أسس وأعمدة ثقافية واجتماعية، فالمجتمع وعاء مناسب للتراكم المعرفي والتطور الحضاري، إلى التزايد الكمي والنوعي الذي يصاحب التطور الذي لا يأتي فجأة، وإنما من خلال لبنة أساسية تصبح مع الزمن غير ملائمة لمتطلبات الزمن والحاضر، ولمعالجة الإشكاليات الاجتماعية المستجدة على أرض الواقع، يتم البناء عليها...."11

تبرز أهمية الموروث في غناه المتمسم بالجمال، ويصبح سلاحاً إيديولوجياً يمثل العمود الفقري للأمة، والعصب الحساس لها، ورهان لا ينضب الحديث فيه، وهو ما يجب أن نقف عليه وننطلق منه لأفاق أوسع فالموروث الثقافي يمثل الأرضية الخصبة للانطلاق الفعلي، في أفق الفنون الدرامية. :

ويشكل التراث "... المخزون الثقافي المتنوع والمتوارث من قبل الآباء والأجداد، والمشمتم على القيم مدونة في كتب التراث... هو روح الماضي وروح الحاضر وروح المستقبل بالنسبة للإنسان الذي يحيا به، وتموت شخصيته وهويته إذا ابتعد عنه، أو فقده..."12

نجد أهمية اشتباك التراث الثقافي مع المنجزات الإبداعية، في كونه يتقاطع مع الأعمال الإبداعية، في قدرتها على رسم هذا الموروث، في منجزاتها وبخاصة في الفن المسرحي لما

يستميز به هذا الفن من تقنية التحويل والتجسيد على خشبة المسرح؛ فيصبح الموروث مرئيا ومسموعا ومحكيا في قالب فني ولهذا التلاحق والاشتباك عوامل عدة من بينها:

1.4. العامل النفسي:

الدراماتورج عندما يكتب عمله يكون موضع استقهام من أين؟ ولمن؟

أي من أين هذا المنجز الإبداعي من هو كاتبه ماهي ثقافته اهتماماته ولمن هو موجه هل المتلقي له نفس ثقافة ومرجعيات المبدع، "...فمن الضروري أن نتسأل عن هؤلاء المتفرجين من هم؟... لأن تحديد هوية الجمهور تركيبته ظروفه الاجتماعية، ظروفه الثقافية مشاكله وصور معاناته...." ¹³ فنجد كثيرا من الكتاب يلجئون إلى أحضان الموروث الثقافي للتعبير عن ذواتهم وهذا ما تجلى لنا في أعمال العديد من الكتاب بخاصة الكاتبة فاطمة قالير وهي تروي آلام الاغتراب عن الوطن وتصف العادات والتقاليد الشعبية والملابس والأكلات الخاصة ببلدها وكأنها تؤكد قائلة: أن أعمالها ذات ثقافة عربية جزائرية أصيلة وإن كانت بلسان فرنسي.

2.4. العامل الفني: فالموروث الثقافي غني بالجماليات الفنية؛ التي يمكن أن تكتسيها

الأعمال الإبداعية بخصيصة في المنجزات المسرحية.

3.4. العامل القومي: يبرز العامل القومي دور القوة القومية، التي تتشكل من خلال تشابك

المنجز الإبداعي المسرحي و"... الموروث الثقافي بوصفه حصنا منيعا تواجه به الأمة العربية المخاطر الخارجية التي تهدد كيانها القومي وهذا ما يحدث في مجتمعاتنا نتيجة

التدخلات الخارجية وانعدام الأعمال ذات البواعث القومية التي تحصن لأي تدخلات خارجية....¹⁴

4.4. العامل الثقافي: التعبير الإبداعي المسرحي، من خلال منطلقات تراثية تعمل إلى نشأة ثقافة واعية، ساعية للنمو والتطور وتقبل الآخر دون هدم لهويتها أو نفي للآخر.

وكل هذه العوامل تفرض لزاماً على المبدع في المنجز المسرحي أن يكون ذا اطلاع واسع وإحاطة شاملة بالموروث الثقافي العربي؛ خاصة وأن التراث العربي زاخر بكل أبعاده الثقافية، وتميز إلا أنه مسكوت عنه وهو في حاجة إلى بعثه.

تعد دراسات وأبحاث الدارسين، والنقاد في مجال التأسيس والتأصيل وقضايا التجريب لمحاولة مواكبة المنجز الغربي، ك"الأعمال الكاملة" لسعد الله ونوس، و"تحو مسرح مصري"، و"قالبنا المسرحي" و"بيانات لمسرح عربي"، و... كلها قد ساهمت كثيراً في بلورة ما هو عليه المسرح العربي اليوم، إلا أننا لم نصل بعد إلى ما يصبو إليه هذا الفن، من تأثير وتغيير على مختلف الأصعدة، وبكل صدق إن الفن المسرحي، مازال يتخبط بين ثنائية التأسيس والتأصيل والتجريب ولا غرو أن ثمار هذه الثنائية هي ما قعدت لمسرحنا العربي اليوم، غير أن ما نحن بحاجة إليه فعلاً، هو ما يجعل هذه الأبحاث تثمر، لتغير جذري في حياتنا منطلقة وفق أرضية خصبة وقوية تكون هذه الأرضية من رحم واقعنا وموروثنا الثقافي معبرة عن هويتنا وشخصيتنا الثقافية، فلا يمكن أن يكون لنا مسرح قوي من دون أن يكون منطلق من هويتنا الثقافية وتراثنا الغني.

إن تفكيرنا في طرح جديد، يحملنا الكثير من المسؤولية والجدية، ولكن ما قد نجنيه من هذا الطرح من تطورات، على مختلف الأصعدة يجعلنا نفوس في هذه المغامرة، والسبب الرئيسي

في البحث عن أسس طرح مغاير؛ جاء نتيجة الاصطدامات التي يواجهها مسرحنا، والراجعة في الأساس إلى ثقافة مجتمعنا والسياسة المتبعة فيه، والتي وقفت حاجزا أمام الأعمال الإبداعية وجعلها تحت مراقبة مهجيرية، وكل الأجناس الأدبية لم تلق ما تلقاه المسرح من رفض، ولم تواجه من صعوبات فيما تلقاه في محاولة تأصيله وتجريبه والتنظير له والتطبيق فيه.

كما أن كتب العلامة والمفكر الجزائري عبد الملك مرتاض، جعلتنا نستبطن أسس لهذا الطرح، فهو دائما يأخذ من القديم زبدته ومن المنجز الغربي أنجعه، وينطلق وفقهم للتقعيد لنظرياته ككتاب "نظرية الرواية" و"نظرية النص الأدبي" و"نظرية القراءة" و"نظرية البلاغة" وكل كتبه ذات دراسة منهجية، عميقة ومتألقة، كانت كلها من مبدأ التأسيس مع الربط بالتراث العربي القوي، والموروث الثقافي الفذ.

وقد أردنا إسقاط هذا المبدأ، على المنجز المسرحي العربي الجديد، لنخلق أرضية خصبة منطلقة من تراث زاكي، يمثل العصب القوي للبداية والاقتراب ونأخذ من المنجز الغربي أنجعه، وما يتوافق مع ثقافتنا وهويتنا لا ما يشوهها، أو يجعل الفن الدرامي قابعا في بقعة الهامش.

يعني أننا إذا أردنا أن ننتج أعمال إبداعية، متألفة فيجب أن لا نقطع الصلة مع القديم بل تكون منه الانطلاقة عبر محاكاتنا، واشتباكتنا بموروثنا الثقافي الزاكي ولا غرو أن ثقافة العربية تكتسي الكثير من الأبعاد لتحمله في منجز إبداعي كالمسرح

يمكن القول أنه في المنجز الغربي النقدي، توجد نظريات عديدة، ك: "نظرية العرض المسرحي" لجوليان هلتون، يمكننا اقتباسها وإخضاعها وكذلك الدراسات النقدية العربية

الفعلية الغير خاضعة للمجاملة، والتي تكون بحق طابعا لمسرح متجدد، لخدمة المنجز المسرحي العربي، أو أنه توجد عديد من النظريات الأدبية، التي يمكن أن نجسدها على دراساتنا في المسرح غير أن وجود نظريات كثيرة في الأدب عامة، وفي المسرح خاصة نستطيع استغلالها والاستفادة منها لحد كبير، إلا أنه ما يجعلنا بحاجة إلى التأسيس لطرح جديد في المسرح. وهذا عن طريق "...انطلاق الإبداع من روح عربية، ذات ثقافة أصيلة واعية تصبو لأفق المعاصرة الحركة، الحسية والمعنوية من أجل التغيير..."¹⁵.

فتراثنا الثقافي ثقيل لدرجة أنه لا يستطيع حمله، سوى فن درامي كالمسرح.

وصفوة القول أن الاشتباك مع الموروث الثقافي؛ في وطننا العربي يشبه تلك النبتة التي تأتي بها، بجمالها وحلتها، وحتى جذورها وتربتها، إلا أننا لا نهئى لها أرضاً خصباً، لتنمو فيها، فتموت رغم أنها جاءت في حلة زاهرة، وهكذا المسرح في وطننا العربي، فنقلنا إليه، يستوجب منا أن نهئى له الأرضية الخصبة، التي ينمو ويزدهر من خلالها، لا أن يموت فيها لقطها، والتي تشكل الموروث الثقافي الزاخر.

5 توظيف الموروث الثقافي في مسرح فاطمة قالير: إن حديثنا عن أعمال الكاتبة

يلزمنا وضع تعريف لها: "تعد الكاتبة فاطمة قالير من مواليد الجزائر سنة 1944

في قسنطينة بالعروش فيما بين سكيكدة وعاصمة الجسور المعلقة.

وهي (دراماتورج) كاتبة نصوص مسرحية جزائرية...."¹⁶ فهي كاتبة فرنكوفونية

مخضمة الثقافة "...درست الأدب الفرنسي بجامعة الجزائر العاصمة من 1963

إلى 1967، ثم انتقلت إلى باريس حيث درست السينما بجامعة باريس

فانسين..."¹⁷

عند قراءتنا لمجموعة من مسرحيات الكاتبة فاطمة قالير، لاحظنا أن مسرحياتها كلها من رحم واقعنا، وثقافتنا وحياتنا الاجتماعية، والسياسية، وتعكس بصورة كبيرة، وواضحة عاداتنا وتقاليدنا وهذا ما تجلى بوضوح في مسرحية "الأميرات"، و"الحلقة الذكورية" و"تبدو أشجار الخروب من بعيد" و"ريم الغزالة"، و"الضرائر" و"مولي الرمال" وكثير من مسرحياتها حملت ثقافتنا، الغنية سواء في الشخصيات، أو الأحداث، أو حتى الصراعات داخل نصوصها، وكل عروض مسرحياتها كانت بطابع ثقافي، متشعب في أغوار تراثنا الشعبي.

1.5. توظيف الموروث الثقافي في مسرحية ريم الغزالة: وهي مسرحية تتحدث عن فتاة مغتربة، تتوفى عنها والدتها، وهي في الغربية فتصطمم بخبر وفاتها، خاصة وأنها لم تتمتع بأيامها مع والدتها، وتسرد مراسم الوفاة على أنها حفلة، وهنا يكمن صراع المسرحية، فتعكس لنا صورة الثقافة الشعبية، فنجد الحديث عن اللباس التقليدي "القندورة" والنواحات، اللاتي كن في القديم يأتوا بهن للبكاء على الميت.

نجد حوار الشخصية البطلة "ريم" مع والدتها، والذي يعكس الثقافة الشعبية؛ من خلال استحضار الكاتبة للموروث الثقافي الشعبي المتمثل، في اللباس "القندورة" وهو لفظ يطلق على ثوب تقليدي، معروف في الشرق الجزائري خاصة، تخطيه النساء عادة "...أنظري يا أمي، القندورة التي كنت أريد ارتدائها ذلك اليوم لقد كان لي العديد منها كما تعلمين تلك التي حكتها لي فترة غيابي فهذه الحمراء الداكنة المطرزة كثيرا...وهذه السوداء لون نادر بالنسبة لثيابنا...."¹⁸ تتحدث مع والدتها، وعن تفاصيل هذه الثياب التي طرقتها لها أمها.

2.5. توظيف الموروث الثقافي في مسرحية في مسرحية الأميرات: كما نجد مسرحية "الأميرات" والتي تشابكت بدقة، مع موروثنا الثقافي، فهذه المسرحية لوحدها، تعد نموذجا حيا لتوظيف التراث، واشتباكه مع المنجزات الإبداعية .

وهي مسرحية تتناول قصة شابة، في العقد الثالث من العمر، اغتربت وتزوجت، من رجل أجنبي وأنجبت، منه بنتان توأم، تدور المسرحية حول قضية زواج المرأة المسلمة برجل مسيحي، وهذا ما يتنافى مع ثقافتنا وديننا ومجتمعنا، ونجد بين ثنايا هذا العمل الإبداعي التشابك مع كل ما يمثل الذات العربية كاستحضار الكاتبة للأمكنة، كجعل البطلة من مدينة سكيكدة -مدينة الكاتبة- وهي مدينة تقع شرق الجزائر، هذا غير أنها تستحضر أحياء وأماكن ودوائر، كعزابة والحروش، والقل، وسيدي مزغيش، وكل هذه أماكن في مدينة سكيكدة وحتى استحضارها لمدينة قسنطينة مدينة الجسور المعلقة وهي مدينة تقع شرق الجزائر جنب مدينة سكيكدة

"...الأميرة: أنت هنا يا ابنة عزابة رقيقة ورزينة ما الذي تقولينه لي؟

بيبية : كنت محقة يسكن منزلا صغيرا على حافة القرية في طريق قسنطينة..."¹⁹

إن استحضار الكاتبة، لأماكن موجودة فعلا، يضع القارئ، والمتلقي للعمل الفني، في إطار مكاني محدد، يمثل ثقافة لمجتمع، له خصوصياته، ومميزاته التي تعكس صورة سابقة، في ذهن المتلقي، أو تبعث فيه فضولا لمعرفة، ما تحمله الشخصيات، والأحداث، من موروث ثقافي مستميز .

ونجد استحضار الكاتبة للأطباق التقليدية الشعبية الجزائرية والتي تعرف شهرة شعبية أوصلتها للعالمية.

"...من أجل اللذيذ جدا مثل الكسكسي..."

الصوت الآخر: تطهين الكسكسي هناك؟...²⁰

يعد الكسكس طبق شعبي، تقليدي، يمتاز به سكان المغرب العربي، ويعد طبق رئيسي في مأكولاتهم الشعبية، ويكون حاضر بقوة، في المناسبات والولائم والأفراح وحتى الأفراح وهو طبق من ثقافة شعبية أصيلة.

3.5. توظيف الموروث الثقافي في مسرحية الضرائر: تدور أحداثها، حول "الطاووس" الزوجة العقيم، التي تصطم بعادات وتقاليد، رافضة لعقم المرأة، وثقافة مجتمع خاضع لتقديس المعتقدات السلبية، وقد عكست لنا المسرحية، صورة العقلية الثقافية، منها ما كان إيجابيا، ومنها ما كان سلبي فمن السلبيات، نجد رفض الكنة "الطاووس" من قبل أهل زوجها، وبخاصة والدته، رغم طيبتها وأخلاقها، وتحميلها الذنب كاملا، لعدم إنجابها وحتى رفض زيارتها للطبيب وهنا نجد أهمية الطرح في المسرح النسوي و"...انه لم يعد من الممكن اعتبار ظاهرة مسرح المرأة مجرد إضافة محدودة الأهمية...."²¹

كما تعكس لنا العلاقات الأسرية، وفي ثقافتنا العربية معروف اكتساء العلاقات الأسرية بالاحترام، نابعة من موروثنا الديني، والشعبي، والأخلاقي التي تفرض احترام الكبير، وتوقير الصغير، وهذا ما انعكس في احترام "الطاووس" لحمايتها "نهوّهة" رغم ظلمها لها، وكذلك طاعة ابنها "إدريس" في الزواج على زوجته، لأنها عقيم رغم حبه لها.

"...نهوّهة: زوجتك لا قيمة لها هي جزء من منزلك وأملكك ..."

إدريس: عادة ظالمة، هناك قوانين الآن....²²

وتتضح لنا صورة احترام الكنة "طاووس" لحمايتها "نهوّهة" رغم قسوتها معها، وظلمها وهذا ما يعكس ثقافتنا العربية، ويميزها فعلى عكس الثقافة الغربية نجد نوع من الجفاء في العلاقات الأسرية.

4.5. توظيف الموروث الثقافي في مسرحية الحلقة الذكورية: ونجد التشابك مع الموروث الديني في مسرحية الحلقة الذكورية؛ وهي مسرحية تدور حول قصة فتاة اسمها "صادقة" تتزوج برجل فرنسي غير مسلم وتتجلى في ثنايا المسرحية بين أحداثها وحواراتها، رفض الدين الاسلامي لزواج المرأة برجل غير مسلم، وغير مختتن ورغبة، الزوج في اعتناق الاسلام من أجل حبه لزوجته وخوفاً لما تلاقيه من أهلها ومجتمعها، وانعكاس الثقافة الدينية الإسلامية بقوة في هذه المسرحية وكلها تدور حول الدين فنجد في هذا المقتطف:

"...طهار: بمعنى أريد أن أفكر أو أتمنى أن يكون هذا الشاب عرف فتاة من قريتنا وقد وضعت له هذا الشرط لإتمام العلاقة .

عبيد: وليحمينا الله ويحمي أمة الرسول محمد

طهار: سأقول في هذه الحالة لا داعي للقلق، ولكن إذا كان متوهماً أو مدمناً على المخدرات أو مجنوناً قد افنتنن بشكل غامض بديننا الجميل

شرق: وليرحمنا الله...²³

كل هذا التراث الزاخر تجلى في أعمال الكاتبة فاطمة قالير؛ والتي لم تجد مقعداً لها في وطننا العربي، على عكس المقاعد ذات المكانة الثقافية والأدبية، التي وجدتها خارج وطنها العربي من رحم تراثها الثقافي الزاكي.

كل هذا الموروث الثقافي المتشعب الأبعاد تجلى في أعمال كاتبنا بوضوح في النسق اللساني؛ وحتى البصري من منجزاتها توصلنا لمجموعة من الاقتراحات.

6 التوصيات:

1. ندعو للالتفاف، لهذه الأعمال الإبداعية الحاملة للآنا العربية، في كل أبعادها العريضة.
2. والانطلاق على هرم الأبحاث، والدراسات العربية والغربية، لتقعيد لهوية مسرحية عربية رصينة.
3. وضع المنجزات الإبداعية، في المجال المسرحي، الحاملة للموروث الثقافي والمعبرة عن الذات العربية، في أولويات الدراسات النقدية.
4. مراعاة الأعمال ذات منبع من مؤلف ذو ثقافة واعية، وموضوعية واطلاع ركائزي، على التراث الزكي والغني.

7. **خاتمة:** زبد الكلام في كل ما تمخض على أكتاف بحثنا، هو ضرورة البحث فتح طوامير موروثنا الثقافي، لتوظيف وخلق خيوط شبكته القوية، لصنع مسرح عربي جديد، ومتجدد ذا ثقافة واعية، ورصانة ذات تطبيق فعلي ونقد موضوعي، واضح لكشف وتعرية ما يعتور، حياتنا الثقافية ومسرحنا لنخرج من سجن المتخبطات العشوائية؛ بين ثنايا الوعي المضمحل والتقليد.

8. الهوامش:

¹ - باتريس المسرح بافيس : معجم المسرح، تر: ميشال ف خطار مراجعة: نبيل أبو مراد، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2015، ص90.

- 2- أحسن ثليلاني: توظيف التراث في المسرح الجزائري، رسالة دكتوراه، تخصص الأدب العربي الحديث، الإشراف: أ.د. محمد العيد تاورته، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة منتوري، سنة 2010/2009، ص 16
- 3- المرجع نفسه، ص 15.
- 4- جوليان هلتون : نظرية العرض المسرحي، تر: نهاد صليحة، مصر، هلا للنشر والتوزيع، 2015، ص 14_15.
- 5- ينظر: المرجع نفسه، ص 15_16.
- 6- المرجع نفسه، ص 17.
- 7- المرجع نفسه، ص 14.
- 8- حاجي يحيى وقجال نادية: التراث الثقافي المادي و اللامادي ودوره الأساسي في بعث السياحة الصحراوية، مجلة جماليات،(الجزائر/ جامعة مستغانم، مختبر بحث الجماليات البصرية في الممارسات الفنية الجزائرية)، العدد 5، 2018، ص 130.
- 9- سناء أحمد سليم عبد الله : توظيف التراث في شعر بن زيد العبادي و أمية بن أبي الصلت الثقافي، رسالة ماجستير، إشراف: د إحسان الديك، قسم اللغة العربية، جامعة النجاح ،نابلس فلسطين/سنة 2004، ص 6.
- 10- المرجع نفسه، ص نفسها.
- 11- المرجع نفسه، ص 7.
- 12- أحسن ثليلاني : توظيف التراث في المسرح الجزائري، ص 12.
- 13- ليلي بن عائشة: بنية الخطاب المسرحي العربي المعاصر بين ثنائية التجريب والإبداع "دراسة انتقائية لنصوص وعروض من المسرح العربي، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د صالح لمباركية، قسم الفنون الدرامية، جامعة وهران، سنة 2010/2011، ص 283.
- 14- ينظر، أحسن ثليلاني : توظيف التراث في المسرح الجزائري، ص 18.
- 15 - محمود محمد طه: الثورة الثقافية، السودان، دار أريج للطباعة والنشر، ماي 1972، ص 2.
- 16- جميلة مصطفى الزقاي: فاطمة قالير 5مسرحيات، الإمارات، الهيئة العربية للمسرح، 2015، ص 5.
- 17- أحسن ثليلاني: بانوراما المسرح في سكيكدة، الجزائر، الوطن اليوم، 2017، ص 123.
- 18- المرجع نفسه، ص 258.
- 19- جميلة مصطفى الزقاي: فاطمة قالير 5مسرحيات، ص 51.
- 20- المرجع نفسه، ص 59.

- 21- بسيتير بروك تيري ايجلتونسوالين كيس وأخرون: التفسير والتفكيك ولأيديولوجية تقديم نهاد صليحة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000، ص119.
- 22- جميلة مصطفى الزقاي: فاطمة قالير 5مسرحيات، ص 137.
- 23- المرجع نفسه، ص 104.

9 . قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1. أحسن تليلاني: بانوراما المسرح في سكيكدة، الجزائر، الوطن اليوم، 2017.
2. محمود محمد طه: الثورة الثقافية، السودان، دار أرجي للطباعة والنشر، ماي 1972.

الكتب المترجمة:

1. باتريس بافيس : معجم المسرح، تر:ميشال ف خطار مراجعة: نبيل أبو مراد، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2015.
2. بسيتير بروك تيري ايجلتونسوالين كيس وأخرون: التفسير والتفكيك ولأيديولوجية تقديم نهاد صليحة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000.
3. جوليان هلتون : نظرية العرض المسرحي، تر: نهاد صليحة، مصر، هلا للنشر والتوزيع، 2015.
4. جميلة مصطفى الزقاي: فاطمة قالير 5مسرحيات، الإمارات، الهيئة العربية للمسرح، 2015.

الدوريات:

- حاجي يحيى وقجال نادية: التراث الثقافي المادي و اللامادي ودوره الأساسي في بعث السياحة الصحراوية، مجلة جماليات،(الجزائر / جامعة مستغانم، مختبر بحث الجماليات البصرية في الممارسات الفنية الجزائرية)، العدد 5، 2018.

الرسائل الجامعية:

1. أحسن ثليلاني: توظيف التراث في المسرح الجزائري، رسالة دكتوراه، تخصص الأدب العربي الحديث، الإشراف: أ. د محمد العيد تاورته، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة منتوري، سنة 2010/2009.